الفتح والظفر مقدر للأحمدية شريطة البقاء خلف جُنة الإمام

٢٠٠٣/٧/١١ بمسجد فضل، لندن بريطانيا

- اتبعوا الإمام في كل أمر
- سيكون النصر حليف الأحمدية، أي الإسلام الحقيقي، بإذن الله تعالى
- ابقوا دائمًا خلف الجُنّة التي هيّأها الله تعالى لكم في شخص الإمام
- لا بأس في مواجهة العدو بالمناظرة والمجادلة، لكن تحت إرشاد الإمام ووفق مشيئته
- ذِكر مفصل لغزوة أُحد
- تذكّروا دائما قول المسيح الموعود عليه السلام: إنني مأمور، وقد بُشِّرت بالنصر

***

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١١

في مسجد فضل بلندن بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٢٢)

هذه الآية الكريمة تتعلق بأحداث معركة أُحُد، وما صدر فيها من المسلمين من أخطاء؛ مثلا كان من أبرزها أن بعض الصحابة الشباب أشاروا في البداية بالخروج من المدينة للقتال خارجها، خلافًا لرأي النبي ﷺ. ثم في ساحة المعركة، حين كلف النبي ﷺ خمسين راميًا بحراسة مضيق في الجبل، فلما رأوا أن كفة المعركة قد مالت لصالح المسلمين وبدا الفتح يلوح، تركوا موضعهم طمعًا في الغنائم، خلاف أمر النبي ﷺ الذي كان قد أوصاهم صراحةً بألا يتركوا المضيق مهما كانت الأحوال. وكانت العاقبة أن المسلمين لحقت بهم خسارة فادحة. وكان النبي ﷺ قد أخبر في رؤيا بأن مثل هذا الوضع سيقع وسيصاب المسلمون فيه.

ولا شك أن النبي ﷺ كان قد أكثر من الدعاء قبل هذه المعركة. وهناك روايات كثيرة في شأن غزوة بدر. باختصار، فقد سمع الله تلك الدعوات، فلما عصى الصحابة المرابطون على المضيق الجبلي الأمر وتركوه، وكرّ الكفار من جديد وألحقوا بالمسلمين أذىً بالغًا، كان من المتوقع أن تكون العواقب أشد وطأةً وأفدح مما جرى، غير أن تلك الدعوات هي التي حالت دون ذلك؛ فعلى الرغم مما أُصيب به المسلمون من خسائر جسيمة، فلم يتمكن العدو من تحقيق النصر الكامل الذي كان يرجوه. فقد استُشهد عدد كبير من الصحابة، وأُصيب النبي ﷺ نفسه بجروح، ومع ذلك لم يرجع الأعداء منتصرين؛ لأن المنتصر في ذلك الزمن كان يجمع الغنائم وينهب ما يشاء ولكنهم لم يفعلوا شيئا منه.

وفي تفسير هذه الآية، أستشهد بمقتطف من كلام الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله، إذ يقول:
في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ اعلم أن الله تعالى قبل ذلك قال: ﴿إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾. وفي هذه الآية بيَّن الله سنّته في نصرة عباده وتأييدهم. وفي يوم أُحُد كان المسلمون كثيرين، لكنهم حين خالفوا أمر النبي ﷺ انهزموا، في حين أنهم في بدر، مع قلة عددهم، أطاعوا النبي ﷺ فغلبوا واستولوا على خصومهم.
وفيه وجه آخر وهو أن الانكسار يوم أحد إنما حصل بسبب تخلف عبد الله بن أُبي بن سلول المنافق، وذلك يدل على أنه لا يجوز اتخاذ هؤلاء المنافقين بطانة. (تفسير الكبير، الإمام الرازي، ج٨، ص٢٠٤)
وفي هذا الشأن، قد بيّن المصلح الموعود ﷺ تفصيلا وافيا في "مقدمة تفسير القرآن"، أسرده عليكم. يقول ﷺ: إن جيش الكفار، حين فرّ من ميدان بدر، أعلن أنه سيعود في العام القادم ليهاجم المدينة مجددًا، وينتقم من المسلمين لهزيمته. وبالفعل، بعد مرور عام، عاد بعدة تامة وهجم على المدينة. وكان غضب أهل مكة قد بلغ حدًّا بعد غزوة بدر، حتى أعلنوا أنه لا يُسمح لأحد بالبكاء على موتاهم، وأن ما يأتي من قوافل تجارية سيُحتفظ بعائداتها لتمويل الحرب القادمة. وهكذا، بعد استعدادات ضخمة، تحرّك جيش يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة أبي سفيان، قاصدًا المدينة.
فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه ﷺ: هل نبقى داخل المدينة ونواجه العدو منها، أم نخرج إليهم؟ وكان رأيه ﷺ أن يُترك العدو ليبدأ بالهجوم، ليكون هو المسؤول عن إشعال فتيل الحرب، ويتمكن المسلمون من التصدي له بيسر من داخل بيوتهم. غير أن المسلمين الذين لم يشهدوا غزوة بدر، وظلت في قلوبهم حسرة لنيل شرف الشهادة في سبيل الله!، أصرّوا قائلين: لِمَ نُحرَم من فضل الاستشهاد؟ فأخذ النبي ﷺ برأيهم. وفي أثناء التشاور، أخبرهم ﷺ برؤياه، فقال: "رأيتُ في المنام بقرةً، ورأيت أن طرف سيفي قد انكسر، ورأيتُ أن البقرة تُذبَح."

ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، ورأيت كأنني أمتطي كبشًا. سأله الصحابة ﷺ: بمَ أوّلتَ هذه الرؤى؟ فقال ﷺ: إن تفسير ذبح البقرة هو أن بعضا من أصحابي سيُقتلون. وأمّا انفصام سيفي فأوّلتها أن أحدًا من كبار أقاربي سيُقتل أو قد أتأذى أنا في هذه الحملة. أما تفسير إدخال اليد في الدرع، فأفهم منه أن بقاءنا في المدينة هو الأنسب. وأما تفسير ركوب الكبش، فيبدو أننا سنتغلب على قائد جيش الكفار، أي أنه سيُقتل على يد المسلمين.

وعلى الرغم من أن هذه الرؤيا كانت توضّح للمسلمين أن بقاءهم في المدينة أفضل، إلا أن تفسيرها كان اجتهادا شخصيا من النبي الكريم ﷺ لا وحيا. فقبل النبي ﷺ رأي الأغلبية وقرّر أن يكون القتال في الخارج.

فلما خرج ﷺ، أحسّ الشبان بالندم في قلوبهم وقالوا: يا رسول الله، رأيك هو الصواب، وينبغي لنا أن نواجه العدو مقيمين في المدينة. فقال ﷺ: إن نبيّ الله إذا لبس الدرع لا يخلعها، فمهما يكن فنحن ماضون قُدُما. وإن صبرتم حالفتكم نصرة الله.

ثم خرج ﷺ من المدينة بجيش قوامه ألف مقاتل، وبعد مسيرة قصيرة خيم لقضاء الليل. وكان من عادته ﷺ أنه إذا اقترب من العدو أتاح لجيشه قسطا من الراحة، ليهيّئوا أسلحتهم وعتادهم.

وحين خرج ﷺ لصلاة الفجر، علم أن بعض اليهود جاؤوا بذريعة نصرة القبائل المتحالفة معهم. ولما كان ﷺ قد اطّلع على مكايد اليهود وخططهم، أمر بردّ هؤلاء الناس. عندها انسحب عبد الله بن أُبيّ بن سلول، زعيم المنافقين، بثلاثمائة من أتباعه، قائلاً: لم تعد هذه الحملة حربا، بل هي بمنزلة الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، إذ يُمنع الأعوان والأنصار من القتال. فلم يبقَ من المسلمين إلا سبعمائة مقاتل، وهو عدد أقل من ربع عدد الكفار، وكانوا أضعف منهم في العتاد أيضا؛ إذ كان في صفوف الكفار سبعمائة من لابسي الدروع، بينما لم يكن في صفوف المسلمين إلا مائة دارع. وكان عند الكفار مائتا فارس، في حين لم يكن لدى المسلمين إلا فرسان اثنان.

وأخيراً وصل النبي ﷺ إلى جبل أُحد وعيّن عند مضيق جبلي خمسين جنديا للحراسة، وأوصى قائدهم بشدة قائلاً: هذا المضيق بالغ الأهمية، فلا تبرحوا مكانكم سواء قُتلنا أو انتصرنا.

ثم خرج ﷺ لمواجهة العدو مع بقية الجيش وعددهم ستمائة وخمسون رجلاً، وهم يمثّلون نحو خُمس عدد الكفار. اندلعت المعركة، وبعون الله ونصرته، لم يلبث ثلاثة آلاف من محاربي مكة المحنكين إلا أن ولّوا الأدبار أمام ستمائة وخمسين مسلماً. (مقدمة تفسير القرآن الكريم، ص١٥١-١٥٢) وبهذا السياق هناك حديث طويل وسأقرؤه عليكم: عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ فَقَالَ إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ فَهَزَمُوهُمْ. قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ. فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ ... فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ (وقد انتصر المسلمون فلنلحق بهم نحن أيضا) فَقَالَ عَبْدُ

اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ (أي بجب ألا تتركوا المكان حتى أُرسل لكم) قَالُو: (لقد انتصر المسلمون..) وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ مِن الْغَنِيمَةِ. (فلما أدرك العدو خطأ المسلمين هذا أعادوا الكرة، وتحول انتصار المسلمين هزيمة، وهذا الحادث مذكور في القرآن الكريم حيث جاء فيه: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا (وقُتل سَبْعِونَ من الصحابة مقتالين) ... فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ. قَالَ (أبو سفيان) يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ أُعْلُ هُبَلْ أُعْلُ هُبَلْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟

قال الصحابة: يا رسول الله، بماذا نجيب؟ قال النبي ﷺ: قولوا: الله أعلى وأجلّ، أي لا أحد هو أعلى من الله وأكبر. فهتف أبو سفيان: لنا العُزّى ولا عُزَّى لكم. أي أن لنا العُزَّى الإلَهة التي تنصرنا وليس لكم إلهةٌ تنصركم. فقال النبي ﷺ لصحابته: ألا تجيبونه؟ قالوا يا رسول الله، ما نقول؟ قال قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، أي إن الله هو مولانا ووالينا، وليس لكم من مولى ولا نصير ينصركم إزاءه. (البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يُكرَهُ مِن التنازع والاختلاف في الحرب)

أقرأ على مسامعكم الآن ما قاله حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه بهذا الشأن:

كان المسلمون قد تفرقوا بسبب تعقُّبِهم للكفار الفارين حتى لم يبق هناك جيش مسلم منظم لقتال الكفار، ولم يُرَ في ساحة القتال من جنود المسلمين إلا جندي هنا أو هناك. فقتلَ الكفار بعضهم، أما باقي المسلمين فأصيبوا بالدهشة والذهول مما وقع، فروا إلى الوراء. فهرع جماعة من الصحابة نحو النبي ﷺ والتفّوا حوله وكانوا عشرين رجلا على الأكثر. وكان الكافرون يُغيرون بشدة على المكان الذي كان رسول الله ﷺ قائما فيه، فبدأ الصحابة الملتفين حوله يسقطون شهداء واحدا تلو الآخر مدافعين عن النبي ﷺ. وبالإضافة إلى الكفار المقاتلين بالسيوف كان رماتهم يطلقون سهامهم بلا هوادة تلقاء رسول الله ﷺ، واقفين على تلال مرتفعة. فرأى طلحة الذي كان قرشيا وكان ممن هاجر من مكة، أن العدو يصوّب معظم سهامه إلى وجه رسول الله ﷺ، فتقدم وجعل يده أمام وجهه ﷺ، فكان كل سهم قادم يصيب يده، ولكن هذا الصحابي الباسل الوفي لم يكن يحرك يده، وهكذا لم تزل السهام تقع على يده، حتى شُلّت من كثرة الجروح، ولم تسلم له إلا يد واحدة... فسأله البعض بعد غزوة أُحد: ألم

تكن تتألم وتتأفف عندما كانت السهام تصيب يدك؟ فقال طلحة: كنت أتألم وكنت أريد أن أتأفف، ولكني لم أتأفف مخافة أن تتحرك يدي فيصيب سهم وجه النبي ﷺ. ولكن حتى متى كانت هذه الحفنة من الصحابة قادرة على الصمود أمام هذا الجيش الكبير. لقد تقدمت جماعة من الكفار ودفعت عن النبي ﷺ الصحابة الذين كانوا ملتفين حوله، وبينما كان النبي ﷺ واقفا هناك وحده كالجبل الشامخ إذ جاء حجر وأصاب خوذتَه فانغرس مسمارها في رأسه المبارك، فسقط ﷺ مغشيًا عليه، ووقع على جثث الصحابة الذين كانوا يقاتلون حوله دفاعا عنه ثم سقطوا شهداء. ثم بعد ذلك استُشهد صحابة آخرون وهم يحمون جسده المبارك، فوقعت جثثهم على جسده الطاهر. فلما رأى الكفار جسد النبي ﷺ تحت جثث القتلى ظنوا أنه قد قُتل، انسحب جيشهم لتسوية صفوفه. وكان عمر رضي الله عنه من بين الصحابة الواقفين حول النبي ﷺ والذين دفعتهم موجة هجوم الكفار الشديد بعيدا عنه ﷺ. فلما رأى عمر أن الساحة قد خلت من المقاتلين أيقن باستشهاد رسول الله ﷺ. وعمرُ هذا الرجل القوي الذي كان قد حارب فيما بعد قيصر وكسرى بمنتهى البسالة، والذي ما أصاب قلبَه خوف ولا وجل قط، جلس على صخرة يبكي كالصبيان. وبينما هو كذلك إذ مر به الصحابي مالك الأنصاري –الذي كان الذي انتحى ناحيةً بعد الفتح الأول للمسلمين، وكان جائعا منذ البارحة فأخذ تمرًا ليأكله لسد جوعه– متبخترا فرحًا بالفتح، فلما رأى عمرَ يبكي جالسا على تلّ، سأله في حيرة شديدة: يا عمر، ما بك، أهذا وقت البكاء أم الفرحة على انتصار الإسلام؟ فقال عمر: لعلك تنحيت جانبا بعد الفتح فورًا ولا تعرف أن جيش الكفار استدار في سفح الجبل وفاجأ جيشَ المسلمين بهجوم مباغت وهم متفرّقون متشتّتون، فلم يستطيعوا الصمود أمام الكفار. وظل رسول الله ﷺ مع حفنة من صحابته متصديا لهم حتى استُشهد هو ﷺ. فقال مالك لعمر:إذا كان هذا هو الحقّ فماذا تصنع يا عمر هنا بالجلوس والبكاء؟ إنما الأحرى بنا أن نلحق بحبيبنا حيث ذهب؟ قال مالك هذا وأشار إلى التمرة الأخيرة التي كانت بيده والتي كان على وشك أن يضعها في فمه وقال لها بعد أن رماها على الأرض: أيتها التمرة ليس بيني وبين الجنة إلا أنتِ. ثم امتشق حسامه واقتحم جيش العدو. ولكن ماذا عسى أن يفعل شخص وحيد إزاء ثلاثة آلاف محارب، إلا أن الروح العابدة لله الأحد تكون أثقل على الكثيرين. فقاتل مالك قتالا مستميتا حيّر الأعداءَ، وأصيب بجراح فسقط، ومع ذلك ظل يقاتل جنود العدو ملقًى على الأرض، فشن عليه كفار مكة هجوما وحشيا، فعُثر على جثمانه وقد صار سبعين قطعة، فلم يستطع المسلمون معرفة جثته وإنما عرفتْه أخته ببنانه وقالت: هذه جثة أخي.

والصحابة الذين كانوا حول الرسول ﷺ والذين كانوا قد دُفعوا بعيدا عنه نتيجة موجة شديدة من هجوم الكفار، اجتمعوا حوله من جديد، فحملوا جسده المبارك، وحاول الصحابي عبيد الله بن الجراح رضي الله عنه أن ينزع بأسنانه وبكل قوةٍ المسمارَ الذي كان قد اندسّ في رأس النبي ﷺ، فانكسرت اثنان من أسنانه رضي الله عنه. وبعد قليل أفاق النبي ﷺ، فبعث الصحابة بعضا منهم في كل ناحية في ساحة القتال لكي يجتمع المسلمون ثانية.

فبدأ الجيش المشتت يجتمع من جديد، فأخذهم رسول الله ﷺ إلى الجبل .. وحين ابتعد عنهم العدو، أمر النبي ﷺ الصحابة بأن يتوجهوا إلى الميدان ويعتنوا بالجرحى. فوصل أحد الصحابة إلى جريح أنصاري، ولاحِظوا أسوة الصحابة في تلك الحالة الحرجة، إذ وجده ذلك الصحابي في حالة خطرة، وكان يلفظ أنفاسه الأخيرة، فوصل إليه هذا الصحابي وسلَّم عليه، فرفع يده المرتجفة للمصافحة، وأمسك بيده وقال له، كنت أنتظر وصول أحد الإخوة إلي. وهو قال له إن حالتك خطيرة جدا، هل تريد إرسال رسالة إلى أقاربك؟ فقال له ذلك الصحابي المشرف على الموت، نعم أرجو إبلاغ أقاربي سلامي وقل لهم أما أنا فأموت، لكنني أترك فيكم محمدا رسول الله ﷻ بصفته أمانة إلهية مقدسة، فيا إخوتي وأقاربي، إنه رسول صادق من الله، وآمل أنكم لن تمتنعوا عن فداء أرواحكم حمايةً له وأنكم ستحفظون وصيتي هذه.

حين عاد النبي ﷺ إلى المدينة بعد دفن الشهداء، خرجت النساء والأطفال إلى ظاهر المدينة لاستقباله ﷺ. وكان حبل بغلته في يد سعد بن معاذ رضي الله عنه سيّد المدينة. كان سعد يقود البغلة بفخر واعتزاز، وكأنه يعلن للعالم كله أنه رغم كل ما حدث، قد استطعنا أن نعود بمحمد رسول الله ﷺ سليمًا معافى إلى بيته. ورأى قرب المدينة أمّه العجوز تتقدم، وكانت ضعيفة النظر جدًا، وكان ابنها عمرو بن معاذ قد قُتل في أُحد، وعرفها سعدٌ والتفت إلى الرسول قائلاً: يا رسول الله، هذه أمّي قادمة. فقال دعها تتقدم على بركة الله. فتقدمت العجوز وبدأت تنظر هنا وهناك ببصر كليل لتتمكن من رؤية وجه رسول الله ﷺ، وأخيرًا، استطاعت أن تتبيّنه فاستبشرتْ. فقال لها النبي ﷺ أعزيك في استشهاد ابنك، فقالت تلك السيدة الصالحة: ما دمتُ قد رأيتك بخير وعافية فكأنني شويتُ المصيبة والتهمتُها.

يتابع سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه فيقول: باختصار قد عاد النبي ﷺ إلى المدينة بسلام، ولا شك أن كثيرا من المسلمين قد قُتلوا في هذه المعركة، مع ذلك لا نستطيع أن نصف حرب أُحد بأنها هزيمة، بل

كانت –نظرا للأحداث التي بينتُها أعلاه– فتحا عظيما سيظل المسلمون يزدادون إيمانا بذكرها إلى يوم القيامة. (حياة محمد)

وهناك حديث في هذا السياق، وقد وردت فيه الكلمات الأخيرة لسيدنا مصعب بن عمير ﷺ: حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد، فلما تغير الوضع في الحرب فجأة وقع مصعب في حصار الكفار، فأقبل إليه فارس المشركين ابن قمئة بسيفه، فضرب يده اليمنى فقطعها فأخذ مصعب اللواء بيده اليسرى وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ (آل عمران ١٤٤)، فضربه ابن قمئة مرة أخرى، وضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره. ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع الجندي المخلص للإسلام وهو يردد الآية نفسها وحضر ربه. (الطبقات الكبرى لابن سعد)

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ (وكان يبدي الأسف على ذلك) فَقَالَ مرة: يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ. (وكان الناس يتعجبون من قوله هذا.)

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ (وكان يقصد أن يعفو ﷻ عنهم على خطأ صدر من الصحابة) ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ الكعبة، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ.

قال سعد عند ذكره هذا الحدث لرسول الله ﷺ إن أنس قال وأثبت، أما أنا فلم أقدر على ذلك.

قَالَ أَنَسٌ فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾. (البخاري كتاب الجهاد)

فلما عاد النبي ﷺ إلى المدينة، جاءه الخبر أن جيش الكفار قد اجتمع في الطريق مرة أخرى، ويريدون أن يهاجموا المدينة. وكان رسول الله ﷺ قد رجع بعد غزوة أحد يوم السبت مساءً، فبات هو وأصحابه في المدينة، وراح المسلمون طوال الليل يداوون جراحهم. (أي إن الناجين أيضا كانوا قد أصيبوا بجراح شديدة). فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر، أمر بلالًا ﷺ أن ينادي في الناس، فيقول: إن رسول الله ﷺ يأمر بالخروج في طلب العدو (أي قبل أن يصل العدو إلى المدينة ويهاجمها، أمر ﷺ بالخروج في

طلبه) وألا يخرج معه إلا من شهد الوقعة بالأمس. ثم دعا رسول الله ﷺ برايته، فأعطاها لعلي بن أبي طالب ﷺ دون أن يفتحها. فخرج رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ في طلب العدو، وقد أعيتهم الجراح والتعب. فلما وصلوا حمراء الأسد –وهي على بعد نحو عشرة أميال من المدينة– أوقد المسلمون نارًا عظيمة كانت تُرى من بعيد، وكان المشهد يظهر للناظرين أن الناس قد اجتمعوا هناك بأعداد كبيرة جدًّا. فألقى الله تعالى في قلوب الكفار رعبًا رجعوا جراءه فورًا إلى مكة. وأقام رسول الله ﷺ مع أصحابه الكرام في حمراء الأسد يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة. (مأخوذ من تاريخ الطبرى ج٢ ص٧٥)

وهذه كانت الصورة الواقعية والتاريخية لهذه الآية التي قرأتُها بالتفصيل، ولكن قدم حضرة خليفة المسيح الأول ﷺ نقطة أخرى مهمة جدًّا في تفسير آية: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ فقال: إن في ذلك درسًا لكم أنه يمكن أن تقاوموا العدو وتناظروه وتناقشوه كما تشاؤون ولكن بحسب تعليمات إمامكم، لأن عباد الله وحدهم يعرفون الترتيب الذي عاقبته الفتح والانتصار. (حقائق الفرقان ج١ ص٥٢٦)

لقد شعرتُ بقلق بسبب بعض الرسائل الواردة إليّ، وسأذكره كما يلي:

كتب أحد الإخوة قائلًا: إن العدو يستمر دائمًا في الطعن والسب، وتُنسَب إلى الجماعة أمورٌ كاذبة وباطلة تمامًا.

ثم عند ذكر التبليغ كتب يقول: إن الذين أبلّغهم أنا تُلقى في أذهانهم أيضًا أمورٌ مثيرة لسوء الفهم، وتُروى لهم أقوال خاطئة منسوبة إلينا، ويقال لهم: إن كان هؤلاء الأحمديون صادقين، فليباهلوا معنا.

فكتب صاحب الرسالة عن نفسه: أرى أنه ينبغي لي أن أقبل تحدي المباهلة، وأن يُعطى لي الإذن بذلك.

لم يكن يقلقني إذا كانت هذه رسالة واحدة، بل بدأت سلسلة من رسائل مشابهة من أماكن مختلفة، مما سبب لي قلقًا.

لذلك أقول: ينبغي أن تحفظوا هذا الأمر في أذهانكم، وكما أرشد حضرة خليفة المسيح الأول ﷺ أنه في كل أمر يجب أن نسير خلف الإمام، فليس لأحد منكم الحق أن يحاول التقدم على إمامه، أو أن يوجّه لأحد تحدي المباهلة. لأنه ليس كل أحد يستحق ذلك، بل له قواعد وضوابط معينة. فحتى رسول الله ﷺ عندما وجه تحدي المباهلة إلى النصارى واليهود، لم يكن ذلك من تلقاء نفسه. بل ظل ﷺ يدعو دائمًا بالهداية فقط في هذا الخصوص، حتى أذن له الله تعالى بالمباهلة وأخبره بطريقتها.

كذلك المسيح الموعود عليه السلام وجّه بعد إذن من الله تعالى دعوة المباهلة لشخصيات مختلفة عندما بلغت شتائم المعارضين وسبابهم أقصاها.

ثم في هذا الزمان رأينا أن خليفة المسيح الرابع رحمه الله قد وجّه تحدي المباهلة فهو أيضا وجهه بإذن من الله تعالى فقط. لذلك فهذا ليس أمرًا يستطيع كل أحد أن ينهض ويقدم عليه من عند نفسه.

فلا يُسمح حتى في المناظرات والمباحثات وغيرها، بوضع شروط توحي بأنكم تشترطون صدق الجماعة وصدق الأحمدية بشروطكم الخاصة، أو تشترطونها بدعائكم. فالأحمدية على الحق، ومجيء المسيح الموعود عليه السلام إنما هو وفق البشارات الإلهية ونبوءات خاتم الأنبياء ﷺ. وتاريخ الأحمدية الممتد لأكثر من مائة سنة شاهد على أن كل من وقف بنية المواجهة والمنازعة لما تحداه به حضرة المسيح الموعود عليه السلام أتباع الأديان المختلفة، فقد رأينا كيف تطايرت أشلاؤه. إن الله تعالى بنفسه يأخذ بثأرنا، ويستمر في ذلك، فَمَا الَّذي تخافونه وتقلقون منه إذن؟

لذلك، ينبغي أن تبقوا خلف جُنّة الإمام التي أعدّها الله تعالى لكم، وأن تستمروا في الدعوة إلى الله تعالى بحسب الطريقة والأدلة التي أرشدنا إليها حضرة المسيح الموعود عليه السلام لإيصال الرسالة وللدعوة إلى الله. وسيتحقق كما قال عليه السلام في شطر بيت من الشعر: من كانت فطرته طيبة فسيأتينا في النهاية. وأهم ما في ذلك كله هو أن تُكثروا من الدعاء، وأن تمدّوني بأدعيتكم.

إن إلهنا إله حيّ، وهو يُرينا حتى اليوم تجليات قدرته الإلهية، وسيُريها إن شاء الله تعالى دائمًا. فكونوا مطمئنين، لا خوف عليكم. نعم، هناك شرط واحد وهو أن تخضعوا إليه بإخلاص تام، وأن تطلبوا العون منه وحده. فهو الذي يسمع دعاءنا.

اعملوا على إقامة توحيده في العالم. أما الذين يشتاقون كثيرًا إلى المباهلة من المعارضين، فليُشبعوا رغبتهم وليدعوا الله ما شاؤوا، وليحكّوا في سجودهم أنوفهم وجباههم، ولكن لن تُستجاب دعواتهم التي يدعون بها ضد الجماعة. وإن شاء الله تعالى، سيكون النصر والغلبة للأحمدية، أي الإسلام الحقيقي. واحفظوا دائماً هذا القول لحضرة المسيح الموعود عليه السلام: أنا مأمور من الله، وقد بُشّرتُ بالفتح.

*****